

الباب الرابع

تفسير الإفك في مفاتيح الغيب

أ. تفسير الإفك

يختار الباحث الآيات من سورة النور لبحث من حيث تفسيره في هذا البحث لأن سورة النور هي "الكنز" الذي هو وفيير من الإلهي في شكل توجيه في العيش هذه الحياة. في الرحم هناك قيمة أخلاقية ، وهي قيمة تحظى باحترام كبير من قبل المجتمعات الدينية. في تفسير سورة النور هناك أجزاء قوية جدا.

ونزل هذه السورة في المدينة عندما واجه المسلمون ظروفًا اجتماعية مختلفة تمامًا وكان عليهم مواجهة تحديات اجتماعية وثقافية بدلاً من تجربة مكة المكرمة التي اعتادوا عليها تحت ضغوط دينية " *hostility and ill-treatment, especially because of race or political or religious* " *beliefs*.

الآيات التمهيدية مهمة للانتقال إلى قصة الإفك التي تشمل السيدة عائشة، زوجة النبي محمد. في حين يضع الله قانونًا اجتماعيًا يجب على الزناة أن يحصل على ١٠٠ جلدة عامة، فإن القانون نفسه يؤثر بشدة على أولئك الذين يقدمون الاتهام ضد الضحية بعدم جلب أربعة شهود، في نظر الله، الشخص الذي لا يشهد على ارتكاب الزنا هو القذف كذبة كبيرة.

أولئك الذين ينشرون الإفك والشائعات السيئة يجب ان يحكم حد القذف وهو ثمانين جلدة ويجب أن يُجرموا من مجتمعاتهم ولا يُسمح لهم بالشهادة في المحكمة.

اما الآيات التي يختارها الباحث في هذا البحث هي سورة النور الآيات ١١-١٣ كما

يلي:

إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ
مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١١) لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ
وَالْمُؤْمِنَاتُ بَأْنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ (١٢) لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا
بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ (١٣).^١

قد فسر الرازي عن معنى الإفك في تفسيره مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير في خمسة أقسام

وهي:

الحكم الخامس، قصة الإفك:

الكلام في هذه الآية من وجهين، أحدهما تفسيره والثاني سبب نزوله.^٢ أما التفسير فاعلم
أن الله تعالى ذكر في هذه الآية ثلاثة أشياء: أولها: أنه حكى الواقعة وهو قوله: {إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا
بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ} والإفك أبلغ ما يكون من الكذب والافتراء، وقيل هو البهتان وهو الأمر
الذي لا تشعر به حتى يفجأك وأصله الإفك وهو القلب لأنه قول مأفوك عن وجهه، وأجمع
المسلمون على أن المراد ما أفك به على عائشة، وإنما وصف الله تعالى ذلك الكذب بكونه إفكاً
لأن المعروف من حال عائشة خلاف ذلك لوجوه:

^١سورة النور الآيات ١١-١٣.

^٢الرازي، مفاتيح الغيب الجزء الثالث وعشرون ٣٣٧.

أحدها: أن كونها زوجة للرسول صلى الله عليه وسلم المعصوم يمنع من ذلك. لأن الأنبياء مبعوثون إلى الكفار ليدعوهم ويستعطفوهم، فوجب أن لا يكون معهم ما ينفهم عنهم وكون الإنسان بحيث تكون زوجته مسافحة من أعظم المنفرات، فإن قيل كيف جاز أن تكون امرأة النبي كافرة كامرأة نوح ولوط ولم يجوز أن تكون فاجرة وأيضاً فلو لم يجوز ذلك لكان الرسول أعرف الناس بامتناعه ولو عرف ذلك لما ضاق قلبه، ولما سأل عائشة عن كيفية الواقعة قلنا الجواب عن الأول أن الكفر ليس من المنفرات، أما كونها فاجرة فمن المنفرات والجواب: عن الثاني أنه عليه السلام كثيراً ما كان يضيق قلبه من أقوال الكفار مع علمه بفساد تلك الأقوال، قال تعالى: {وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ} [الحجر: ٩٧] فكان هذا من هذا الباب.^٣

وثانيها: أن المعروف من حال عائشة قبل تلك الواقعة إنما هو الصون والبعد عن مقدمات الفجور، ومن كان كذلك كان اللائق إحسان الظن به.

وثالثها: أن القاذفين كانوا من المنافقين وأتباعهم، وقد عرف أن كلام العدو المفتري ضرب من الهديان، فلمجموع هذه القرائن كان ذلك القول معلوم الفساد قبل نزول الوحي.^٤

أما العصبية ففيل إنها الجماعة من العشرة إلى الأربعين وكذلك العصابة واعصوبوا اجتمعوا، وهم عبدالله بن أبي بن سلول رأس النفاق، وزيد بن رفاعة، وحسان بن ثابت، ومسطح بن أثانة، وحمنة بنت جحش ومن ساعدهم.^٥

^٣ الرازي، مفاتيح الغيب الجزء الثالث وعشرون ٣٣٧.

^٤ الرازي، مفاتيح الغيب الجزء الثالث وعشرون ٣٣٧.

^٥ الرازي، مفاتيح الغيب الجزء الثالث وعشرون ٣٣٧.

أما قوله: {مَنْكُمُ} فالمعنى أن الذين أتوا بالكذب في أمر عائشة جماعة منكم أيها المؤمنون، لأن
عبدالله كان من جملة من حكم له بالإيمان ظاهراً.^٦

ورابعها: أنه سبحانه شرح حال المقدوفة ومن يتعلق بها بقوله: {لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ
خَيْرٌ لَّكُم} والصحيح أن هذا الخطاب ليس مع القاذفين، بل مع من قذفوه وآذوه، فإن قيل هذا
مشكل لوجهين:

أحدهما: أنه لم يتقدم ذكرهم والثاني: أن المقدوفين هما عائشة وصفوان فكيف تحمل
عليهما صيغة الجمع في قوله: {لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم}، والجواب عن الأول: أنه تقدم ذكرهم في
قوله: {مَنْكُمُ} وعن الثاني: أن المراد من لفظ الجمع كل من تأذى بذلك الكذب واغتم، ومعلوم
أنه صلى الله عليه وسلم تأذى بذلك وكذلك أبو بكر ومن يتصل به، فإن قيل فمن أي جهة يصير
خيراً لهم مع أنه مضر في العاجل؟ قلنا لوجوه:

أحدها: أنهم صبروا على ذلك الغم طلباً لمرضاة الله تعالى فاستوجبوا به الثواب وهذه طريقة
المؤمنين عند وقوع الظلم بهم.

وثانيها: أنه لولا إظهارهم للإفك كان يجوز أن تبقى التهمة كامنة في صدور البعض، وعند
الإظهار انكشف كذب القوم على مر الدهر.

^٦ الرازي، مفاتيح الغيب الجزء الثالث وعشرون ٣٣٨.

وثالثها: أنه صار خيراً لهم لما فيه من شرفهم وبيان فضلهم من حيث نزلت ثمان عشرة آية كل واحدة منها مستقلة ببراءة عائشة وشهد الله تعالى بكذب القاذفين ونسبهم إلى الإفك وأوجب عليهم اللعن والذم وهذا غاية الشرف والفضل.

ورابعها: صيرورتها بحال تعلق الكفر والإيمان بقدها ومدحها فإن الله تعالى لما نص على كون تلك الواقعة إفكاً وبالغ في شرحه فكل من يشك فيه كان كافراً قطعاً وهذه درجة عالية، ومن الناس من قال قوله تعالى: {لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُمَّ} خطاب مع القاذفين وجعله الله تعالى خيراً لهم من وجوه:

أحدها: أنه صار ما نزل من القرآن مانعاً لهم من الاستمرار عليه فصار مقطعة لهم عن إدامة هذا الإفك.

وثانيها: صار خيراً لهم من حيث كان هذا الذكر عقوبة معجلة كالكفارة.

وثالثها: صار خيراً لهم من حيث تاب بعضهم عنده، واعلم أن هذا القول ضعيف لأنه تعالى خاطبهم بالكاف، ولما وصف أهل الإفك جعل الخطاب بالهاء بقوله تعالى: {لِكُلِّ امْرِيئٍ مِّنْهُمْ مَّا اٰكْتَسَبَ مِنَ الْاِثْمِ} ومعلوم أن نفس ما اكتسبوه لا يكون عقوبة، فالمراد لهم جزاء ما اكتسبوه من العقاب في الآخرة والمذمة في الدنيا، والمعنى أن قدر العقاب يكون مثل قدر الخوض.

أما قوله: {والذى تولى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ} ففيه مسائل:

المسألة الأولى: قرئ كبره بالضم والكسر وهو عظمه.^٧

المسألة الثانية: قال الضحاك: الذي تولى كبره حسان ومسطح فجلدهما صلى الله عليه وسلم حين أنزل الله عذرها. وجلد معهما امرأة من قريش، وروي أن عائشة رضي الله عنها ذكرت حسناً وقالت: أرجو له الجنة، فقيل أليس هو الذي تولى كبره؟ فقالت إذا سمعت شعره في مدح الرسول رجوت له الجنة وقال عليه الصلاة والسلام: «إن الله يؤيد حسناً بروح القدس في شعره» وفي رواية أخرى وأي عذاب أشد من العمى ولعل الله جعل ذلك العذاب العظيم ذهاب بصره، والأقرب في الرواية أن المراد به عبدالله بن أبي بن سلول فإنه كان منافقاً يطلب ما يكون قدحاً في الرسول عليه السلام، وغيره كان تابعاً له فيما كان يأتي، وكان فيهم من لا يتهم بالنفاق.^٨

المسألة الثالثة: المراد من إضافة الكبر إليه أنه كان مبتدئاً بذلك القول، فلا جرم حصل له من العقاب مثل ما حصل لكل من قال ذلك لقوله عليه الصلاة والسلام: «من سن سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة» وقيل سبب تلك الإضافة شدة الرغبة في إشاعة تلك الفاحشة وهو قول أبي مسلم.^٩

المسألة الرابعة: قال الجبائي قوله تعالى: {لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ} أي عقاب ما اكتسب، ولو كانوا لا يستحقون على ذلك عقاباً لما جاز أن يقول تعالى ذلك، وفيه

^٧ الرازي، مفاتيح الغيب الجزء الثالث وعشرون ٣٣٨.

^٨ الرازي، مفاتيح الغيب الجزء الثالث وعشرون ٣٣٨.

^٩ الرازي، مفاتيح الغيب الجزء الثالث وعشرون ٣٣٨.

دلالة على أن من لم يتب منهم صار إلى العذاب الدائم في الآخرة، لأن مع استحقاق العذاب لا يجوز استتقاق الثواب والجواب: أن الكلام في المحابطة قد مر غير مرة فلا وجه للإعادة.^{١٠}

أما سبب النزول فقد روى الزهري عن سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير وعلقمة بن أبي وقاص وعبيد الله بن عبد الله بن عقبة بن مسعود كلهم رواوا عن عائشة قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد سفراً أقرع بين نسائه فأيتهن خرج اسمها خرج بها معه، قالت فأقرع بيننا في غزوة غزاها قبل غزوة بني المصطلق فخرج فيها اسمي فخرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك بعد نزول آية الحجاب فحملت في هودج فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرب من المدينة نزل منزلاً ثم أذن بالرحيل فقممت حين أذنوا بالرحيل ومشيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت شأني وأقبلت إلى رحلي فلمست صدري فإذا عقد لي من جزع أظفار قد انقطع فرجعت والتمست عقدتي وحسني طلبه، وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلونني فحملوا هودجي وهم يحسبون أنني فيه لخفتي، فإني كنت جارية حديث السن، فظنوا أنني في الهودج وذهبوا بالبعير، فلما رجعت لم أجد في المكان أحداً فجلست وقلت لعلهم يعودون في طلي فنمت، وقد كان صفوان بن المعطل يمكث في العسكر يتتبع أمتعة الناس فيحمله إلى المنزل الآخر لئلا يذهب منهم شيء فلما رأيته عرفني، وقال ما خلفك عن الناس؟ فأخبرته الخبر فنزل وتنحى حتى ركبت، ثم قاد البعير وافتقدني الناس حين نزلوا وماج الناس في ذكرري، فبينما الناس كذلك إذ هجمت عليهم فتكلم الناس وخاضوا في حديثي، وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ولحقني وجع، ولم أر منه عليه السلام ما عهدته من اللطف الذي كنت أعرف منه حين أشتكى، إنما يدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم

^{١٠} الرازي، مفاتيح الغيب الجزء الثالث وعشرون ٣٣٩.

ثم يقول كيف تيكمفذاك الذي يرييني، ولا أشعر بعد بما جرى حتى نقهت فخرجت في بعض الليالي مع أم مسطح لمهم لنا، ثم أقبلت أنا وأم مسطح قبل بيتي حين فرغنا من شأننا فعثرت أم مسطح في مرطها فقالت تعس مسطح، فأنكرت ذلك وقلت أتسبين رجلاً شهد بدرًا! فقالت وما بلغك الخبر! فقلت وما هو فقال (ت) أشهد أنك من المؤمنات الغافلات، ثم أخبرتني بقول أهل الإفك فازددت مرضاً على مرضي فرجعت أبكي، ثم دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: «كيف تيكم؟» فقلت: ائذن لي أن آتي أبوي فأذن لي فجئت أبوي وقلت لأمي يا أمه ماذا يتحدث الناس؟ قالت يا بنية هوني عليك فوالله لقلما كانت امرأة وضيعة عند رجل يحبها ولها ضرائر إلا أكثرن عليها، ثم قالت ألم تكوني علمت ما قيل حتى الآن؟ فأقبلت أبكي فبكيت تلك الليلة ثم أصبحت أبكي فدخل علي أبي وأنا أبكي فقال لأمي ما يبكيها؟ قالت لم تكن علمت ما قيل فيها حتى الآن فأقبل يبكي ثم قال اسكتي يا بنية، ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب عليه السلام وأسامة بن زيد واستشارهما في فراق أهله فقال أسامة يا رسول الله هم أهلك ولا نعلم إلا خيراً، وأما علي فقال لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير، وإن تسأل الجارية تصدقك فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بريرة وسألها عن أمري قالت بريرة يا رسول الله والذي بعثك بالحق إن رأيت عليها أمراً قط أكثر من أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها حتى تأتي الداجن فتأكله، قالت فقام النبي صلى الله عليه وسلم خطيباً على المنبر، فقال يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغني أذاه في أهلي يعني عبدالله بن أبي فوالله ما علمت على أهلي إلا خيراً، ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيراً وما كان يدخل على أهلي إلا معي، فقام سعد بن

معاذ فقال أعذرك يارسول الله منه إن كان من الأوس ضربت عنقه،^{١١} وإن كان من إخواننا من الخزرج فما أمرتنا فعلناه، فقام سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج وكان رجلاً صالحاً ولكن أخذته الحمية فقال لسعد بن معاذ كذبت والله لا تقدر على قتله، فقام أسيد بن حضير وهو ابن عم سعد بن معاذ وقال كذبت لعمر الله لنقتلنه وإنك لمنافق تجادل عن المنافقين، فنار الحيان الأوس والخزرج حتى هموا أن يقتتلوا، ورسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر فلم يزل يخفضهم حتى سكتوا، قالت ومكثت يومي ذلك لا يرقأ لي دمع وأبواي يظنان أن البكاء فالق كبدي، فبينما هما جالسان عندي وأنا أبكي إذ دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم ثم جلس، قالت ولم يجلس عندي منذ قيل في ما قيل ولقد لبث شهراً لا يوحى الله إليه في شأني شيئاً، ثم قال: «أما بعد يا عائشة فإنه بلغني عنك كذا وكذا فإن كنت بريئة فسيبرئك الله تعالى وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه، فإن العبد إذا تاب تاب الله عليه» قالت فما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالته، فاض دمعي ثم قلت لأبي أجب عني رسول الله، فقال والله ما أدري ما أقول، فقلت لأمي أجيبي عني رسول الله فقالت والله لا أدري ما أقول، فقلت وأنا جارية حديثة السن ما أقرأ من القرآن كثيراً إني والله لقد عرفت أنكم قد سمعتم بهذا حتى استقر في نفوسكم وصدقتم به فإن قلت لكم إني بريئة لا تصدقوني وإن اعترفت لكم بأمر والله يعلم أي بريئة لتصدقوني والله لا أجد لي ولكم مثلاً إلا كما قال العبد الصالح أبو يوسف ولم أذكر اسمه {فَصَبَّرْ جَمِيلٌ} والله المستعان على مَا تَصِفُونَ { [يوسف: ١٨] قالت ثم تحولت واضطجعت على فراشي، وأنا والله أعلم أن الله

^{١١} الرازي، مفاتيح الغيب الجزء الثالث وعشرون .٣٣٩.

تعالى يبرئني ولكن والله ما كنت أظن أن ينزل في شأني وحيأً يتلى فشأني كان أحقر في نفسي من أن يتكلم الله في بأمر يتلى، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله في النوم رؤيا يبرئني الله بها.^{١٢}

قالت فوالله ما قام رسول الله من مجلسه ولا خرج من أهل البيت أحد حتى أنزل الله الوحي على نبيه، فأخذه ما كان يأخذه عند نزول الوحي حتى إنه ليتحدر عنه مثل الجمان من العرق في اليوم الشاتي من ثقل الوحي، فسجى بثوب ووضعت وسادة تحت رأسه فوالله ما فرغت ولا باليت لعلمي ببراءتي، وأما أبواي فوالله ما سرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ظننت أن نفسي أبوي ستخرجان فرقا من أن يأتي الله بتحقيق ما قال الناس، فلما سرى عنه وهو يضحك فكان أول كلمة تكلم بها أن قال: «ابشري يا عائشة أما والله لقد برك الله». فقلت بحمد الله لا بحمدك ولا بحمد أصحابك، فقالت أمة قومي إليه، فقلت والله لا أقوم إليه ولا أحمد أحداً إلا الله أنزل براءتي، فأنزل الله تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ } العشر آيات، فقال أبو بكر والله لا أنفق على مسطح بعد هذا وكان ينفق عليه لقرابته منه وفقره، فأنزل الله تعالى: { وَلَا يَأْتِلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ } [النور: ٢٢] إلى قوله: { أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ } [النور: ٢٢] فقال أبو بكر: بلى والله إني لأحب أن يغفر الله لي فرجع النفقة على مسطح قالت فلما نزل عذري قام رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر فذكر ذلك وتلا القرآن فلما نزل ضرب عبدالله بن أبي ومسطحاً وحمنة وحسان الحد.^{١٣}

لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ (١٢)

^{١٢} الرازي، مفاتيح الغيب الجزء الثالث وعشرون ٣٤٠.

^{١٣} الرازي، مفاتيح الغيب الجزء الثالث وعشرون ٣٤٠.

النوع الأول:

وهذا من جملة الآداب التي كان يلزمهم الإتيان بها، و{لَوْلَا} معناه هلا وذلك كثير في اللغة إذا كان يليه الفعل كقوله: {لَوْلَا أَخَّرْتَنِي} [المنافقون: ١٠] وقوله: {فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ} [يونس: ٩٨] فأما إذا وليه الاسم فليس كذلك كقوله: {لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ} [سبأ: ٣١] وقوله: {وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ} [النور: ١٠] والمراد كان الواجب على المؤمنين إذ سمعوا قول القاذف أن يكذبوه ويشتغلوا بإحسان الظن ولا يسرعوا إلى التهمة فيمن عرفوا فيه الطهارة، وهاهنا سؤالات.^{١٤}

السؤال الأول: هلا قيل لولا إذ سمعتموه ظنتم بأنفسكم خيراً وقلتم فلم عدل عن الخطاب إلى الغيبة وعن المضمرة إلى الظاهر؟ الجواب: ليبالغ في التوبيخ بطريقة الالتفات، وفي التصريح بلفظ الإيمان دلالة على أن الاشتراك فيه يقتضي أن لا يظن بالمسلمين إلا خيراً، لأن دينه يحكم بكون المعصية منشأ للضرر وعقله يهديه إلى وجوب الاحتراز عن الضرر، وهذا يوجب حصول الظن باحترازه عن المعصية، فإذا وجد هذا المقتضى للاحتراز ولم يوجد في مقابلته راجح يساويه في القوة وجب إحسان الظن، وحرمة الإقدام على الطعن.^{١٥}

السؤال الثاني: ما المراد من قوله بأنفسهم؟ الجواب: فيه وجهان. الأول: المراد أن يظن بعضهم ببعض خيراً ونظيره قوله: {وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ} [الحجرات: ١١] وقوله: {فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ} [البقرة: ٥٤] وقوله: {فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ} [النور: ٦١] ومعناه أي

^{١٤} الرازي، مفاتيح الغيب الجزء الثالث وعشرون ٣٤١.

^{١٥} الرازي، مفاتيح الغيب الجزء الثالث وعشرون ٣٤١.

بأمثالكم من المؤمنين الذين هم كأنفسكم، روي أن أبا أيوب الأنصاري رضي الله عنه قال لأم أيوب أما ترين ما يقال؟ فقالت لو كنت بدل صفوان أكنت تظن بحرم رسول الله سوءاً؟ قال لا، قالت ولو كنت بدل عائشة ما خنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعائشة خير مني وصفوان خير منك. وقال ابن زيد ذلك معاتباً للمؤمنين إذ المؤمن لا يفجر بأمه ولا الأم بابنها وعائشة رضي الله عنها هي أم المؤمنين. والثاني أنه جعل المؤمنين كالنفس الواحدة فيما يجري عليها من الأمور فإذا جرى على أحدهم مكروه فكأنه جرى على جميعهم. عن النعمان بن بشير قال عليه السلام: «مثل المسلمين في تواصلهم وتراحمهم كمثل الجسد إذا وجع بعضه بالسهر والحمى وجع كله». وعن أبي بردة قال عليه السلام: «المؤمنون للمؤمنين كالبنيان يشد بعضه بعضاً».^{١٦}

السؤال الثالث: ما معنى قوله: { هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ } وهل يحل لمن يسمح ما لا يعرفه أن يقول ذلك؟ الجواب من وجهين. الأول: كذلك يجب أن يقول، لكنه يخبر بذلك عن قول القاذف الذي لا يستند إلى أمانة ولا عن حقيقة الشيء الذي لا يعلمه. الثاني: أن ذلك واجب في أمر عائشة لأن كونها زوجة الرسول صلى الله عليه وسلم المعصوم عن جميع المنفقات كالدليل القاطع في كون ذلك كذباً، قال أبو بكر الرازي هذا يدل على أن الواجب فيمن كان ظاهره العدالة أن يظن به خيراً، ويوجب أن يكون عقود المسلمين وتصرفاتهم محمولة على الصحة والجواز، ولذلك قال أصحابنا فيمن وجد رجلاً مع امرأة أجنبية فاعترفا بالتزويج إنه لا يجوز تكذيبهما بل يجب تصديقهما وزعم مالك أنه يحدهما أن لم يقيما بينة على النكاح، ومن ذلك أيضاً ما قال أصحابنا رضي الله عنهم فيمن باع درهماً وديناراً بدرهمين ودينارين إنه يخالف بينهما لأننا قد أمرنا بحسن الظن

^{١٦} الرازي، مفاتيح الغيب الجزء الثالث وعشرون ٣٤١.

بالمؤمنين فوجب حمله على ما يجوز وهو المخالفة بينهما، وكذلك إذا باع سيفاً محلي فيه مائة درهم بمائتي درهم إنا نجعل المائة بالمائة والفضل بالسيف، وهو يدل أيضاً على قول أبي حنيفة رحمه الله في أن المسلمين عدول ما لم يظهر منهم ريبة لأننا مأمورون بحسن الظن، وذلك يوجب قبول الشهادة ما لم يظهر منه ريبة توجب التوقف عنها أوردتها، قال تعالى: {إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا} (النجم: ٢٨).^{١٧}

لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ (١٣)

النوع الثاني:

وهذا من باب الزواجر، والمعنى هلا أتوا على ما ذكروه بأربعة شهداء يشهدون على معاينتهم فيما رموها به {فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ} أي فحين لم يقيموا بينة على ما قالوا، فأولئك عند الله أي في حكمه هم الكاذبون، فإن قيل: أليس إذا لم يأتوا بالشهداء فإنه يجوز كونهم صادقين كما يجوز كونهم كاذبين فلم جزم بكونهم كاذبين؟ والجواب من وجهين. الأول: أن المراد بذلك الذين رموا عائشة خاصة وهم كانوا عند الله كاذبين. والثاني: المراد فأولئك عند الله في حكم الكاذبين فإن الكاذب يجب زجره عن الكذب، والقاذف إن لم يأت بالشهود فإنه يجب زجره فلما كان شأنه شأن الكاذب في الزجر لا جرم أطلق عليه لفظ الكاذب مجازاً.^{١٨}

^{١٧} الرازي، مفاتيح الغيب الجزء الثالث وعشرون ٣٤١.

^{١٨} الرازي، مفاتيح الغيب الجزء الثالث وعشرون ٣٤٢.

ب. التحليل

ينقسم الباحث في التحليل هذا البحث هو كما يلي.

١. معنى الإفك عند المفسرين

قد وجد الباحث في هذا البحث عن معنى الإفك عند المفسرين هو كما يلي.

معنى الإفك عند أبو جعفر مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرِ الطَّبْرِيِّ (ت: ٣١٠هـ) هو الكذب والبهتان، كما قوله تأويل قوله تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تحسبوه شراً لكم بل هو خيرٌ لكم لكل امرئٍ منهم ما اكتسب من الإثمِ والذي تولى كبره منهم له عذابٌ عظيمٌ» يقول تعالى ذكره: إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْكَذِبِ وَالْبُهْتَانِ {عصبةٌ منكم} يقول: جماعةٌ منكم أيها الناس. {لا تحسبوه شراً لكم بل هو خيرٌ لكم} يقول: لا تظنوا ما جاءوا به من الإفك شراً لكم عند الله وعند الناس، بل ذلك خيرٌ لكم عنده وعند المؤمنين. وذلك أنّ الله يجعل ذلك كفارةً للمرمي به، ويظهر براءته مما رمي به، ويجعل له منه مخرجاً. وقيل: إِنَّ الَّذِي عَنِ اللَّهِ بقوله: {إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ} جماعةٌ، منهم حسان بن ثابتٍ، ومسطح بن أثاثه، وحمنة بنت جحش^{١٩}.

أما معنى الأفك عند ابن عباس هو الكذب كما قال في تفسير {إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ} يريد الذين جاؤوا بالكذب على عائشة أم المؤمنين أربعةً منكم {لا تحسبوه شراً لكم بل هو خيرٌ لكم} يريد: خيرٌ لرسول الله صلى الله عليه وسلم وبراءةً لسيّدة نساء المؤمنين وخيرٌ لأبي بكرٍ وأمّ عائشة وصفوان بن المعطل {لكل امرئٍ منهم ما اكتسب من الإثمِ والذي تولى كبره}

^{١٩} أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠١٢) الجزء

يريد إشاعته منهم يريد عبد الله بن أبي ابن سلول {له عذابٌ عظيمٌ} يريد في الدنيا جلده رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلّم - ثمانين وفي الآخرة مصيره إلى النار {لولا إذ سمعتموه ظنّ المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً وقالوا هذا إفكٌ مبينٌ} وذلك أنّ رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلّم - استشار فيها، فقالوا خيراً، وقالوا: يا رسول الله، هذا كذبٌ وزورٌ " والمؤمنات يريد زينب زوج النبي صَلَّى الله عليه وسلّم وبريرة مولاة عائشة وأزواج النبي صَلَّى الله عليه وسلّم، وقالوا: هذا كذبٌ عظيمٌ. قال الله عزّ وجلّ: {لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء} لكانوا هم والذين شهدوا كاذبين {فإذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون} يريد الكذب بعينه {ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة} يريد فلولا منّ الله عليكم وستركم {المستكم فيما أفضتم فيه} يريد من الكذب "عذابٌ عظيمٌ" يريد لا انقطاع له "إذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علمٌ" يعلم الله خلافه "، "وتحسبونه هيناً وهو عند الله عظيمٌ" يريد أن ترموا سيّدة نساء المؤمنين وزوج رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم فتبهتونها بما لم يكن فيها، ولم يقع في قلبها قطّ أعرابها، وإمّا خلقتها طيبةً، وعصمتها من كلّ قبيحٍ " ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلّم بهذا سبحانه هذا بهتانٌ عظيمٌ " يريد بالبهتان الافتراء مثل قوله في مريم " بهتاناً عظيماً " .^{٢٠}

وقد ذكر الامام جلالُ الدّين عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرِ السُّيُوطِيُّ في معنى الإفك هو الكذب، كما في قوله: وأخرج ابن أبي حاتم والطبراني عن سعيد بن جبير {إن الذين جاؤوا بالإفك} الكذب {عصبة منكم} يعني عبد الله بن أبي المنافق وحسان بن ثابت ومسطح بن أثانة وحمنة بنت جحش {لا تحسبوه شراً لكم} يقول لعائشة وصفوان: لا تحسبوا الذي قيل لكم من الكذب {شراً

^{٢٠} عبد الله بن عباس، تنوير المقباس من تفسير ابن عباس (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠١٢ م) ٣٦٨.

لكم بل هو خير لكم} لانكم تؤجرون على ذلك {لكل امرئ منهم} يعني ممن خاض في أمر عائشة {ما اكتسب من الإثم} على قدر ما خاض فيه من أمرها {والذي تولى كبره} يعني حظه منهم يعني القدفة وهو ابن أبي رأس المنافقين وهو الذي قال: ما برئت منه وما برىء منها {له عذاب عظيم} وفي هذه الآية عبرة عظيمة لجميع المسلمين إذا كانت فيهم خطيئة فمن أعان عليها بفعل أو كلام أو عرض لها أو أعجبه ذلك أو رضي فهو في تلك الخطيئة على قدر ما كان منه وإذا كان خطيئة بين المسلمين فمن شهد وكره فهو مثل الغائب ومن غاب ورضي فهو مثل شاهد، {لولا إذ سمعتموه} قذف عائشة وصفوان {ظن المؤمنون والمؤمنات} لأن منهم حمنة بنت جحش هلا كذبت به {بأنفسهم خيرا} هلا ظن بعضهم ببعض خيرا أنهم لم يزنوا {وقالوا هذا إفاك مبين} إلا قالوا هذا القذف كذب بين.^{٢١}

وقد وجد الباحث في هذا البحث عن معنى الإفاك في تفسير الرازي ودرسها حتى يحصل ان معناها تنقسم الى الكذب والإفراء والبهتان.

الاول الكذب هو الكذب الفاحش القبح مثل الكذب على الله ورسوله او على القران ومثل قذف المحصنة وغير ذلك مما يفحش قبحه، وجاء في القران على هذا الوجه.^{٢٢} هذا موافقا لقوله:

{مَنْكُم} فالعنى أن الذين أتوا بالكذب في أمر عائشة جماعة منكم أيها المؤمنون، لأن عبد الله كان من جملة من حكم له بالإيمان ظاهراً.

^{٢١} السيوطي، الدر المنثور، (د.م: د.ط، د.ت) ٦٧٤، ١٠، ٦٧٥.

^{٢٢} أبي الهلال العسكري، الفروق اللغوية ٣٣.

والثاني الإفتراء هو قطع الجلد للخرز والإصلاح واستعمل في القرآن في الكذب والشرك والظلم. هذا موافقا لقوله تعالى: قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ (الانعام: ١٤٠).

والثالث البهتان، قال الراغب الأصفهاني في تعريفه بهت قال الله عز وجل فَبُهْتِ الَّذِينَ كَفَرُوا (البقرة: ٢٥٨)، أي دهش وتحير وقد بهته قال عز وجل هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ (النور: ١٦)، أي كذب يبهت سامعه لفظاعته قال تعالى وَلَا يَأْتِيَنَّ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلِهِمْ (المتحنة: ١٢)، كناية عن الزنا وقيل بل ذلك لكل فعل شنيع يتعاطينه باليد أو الرجل من تناول ما لا يجوز والمشى إلي ما يقبح. يقال جاء بالهيئة أي الكذب.^{٢٣} فالبهتان هو الكذب الذي يبهت سامعه، أي: يدهش ويتحير، وهو أفحش الكذب، لأنه ان كان عن قصد يكون أفكاً.

حديث الإفك وهي رمي عائشة الصديقة زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بالإفك، فاتهموها بصفوان بن المعطل السلمي، وذلك أنهم دنوا من المدينة أذن عليه السلام ليلة بالرحيل، وكانت السيدة قد مضت لقضائ حاجتها حتى جاوزت الجيش. فلما قضت شأنها أقبلت إلى رحلها فلمست صدرها فإذا عقد لها من جَزَعِ ظَفَارٍ قد انقطع، فرجعت تلتمس عقدها فحسبها ابتغاؤه، فأقبل الرهط الذين كانوا يرحلون فاحتملوا هودجها ظانين أنها فيه، لأن النساء كنّ إذ ذاك خفافا لم يعشهن اللحم، فلم يستنكر القوم خفة الهودج. وكانت عائشة جارية حديثة السن، فجاءت منزل الجيش بعد أن وجدت عقدها وليس بالمنزل داع ولا مجيب فغلبتها عينها فنامت.^{٢٤}

^{٢٣} الراغب الاصفهاني، المفردات في غريب القرآن ٨٠.

^{٢٤} محمد الحضري بك، نور اليقين في سيرة سيد المرسلين (م.د) : الحرمين، ١٩٥٣ م) ١٥٥.

٢. الإفك في عصرنا الحاضر

هذه مظاهر الإفك تحديداً بالنسبة لمستخدمي الإنترنت ليتمكنوا من اختيار وتصنيف الخبر الصحيحة حتى لا يقعوا في غموض الخبر. ولذلك عند اخذ الخبر من أي شيء، وخاصة من وسائل الإعلام الاجتماعية ووسائل الإعلام عبر الإنترنت، من الضروري توضيح ذلك أولاً. تتضمن الخطوات لتحديد بأنه الإفك التالية:

أولاً، التبين. هو أن تحقق من مصادر الأخبار أو المعلومات مصدرها عناوين مواقع موثوقة أو معتمد. على سبيل المثال، هناك الأخبار يتلقاها من مدونة أو وسائل الإعلام الإنترنت، يحتاج إلى نظر مصادره، ثم يبحث عن المصدر الرئيسي للأخبار. قال تعالى في سورة الحجرات الآية ٦: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْحِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ.

أمر بالتبين فلو قبل قوله لما كان الحاكم مأموراً بالتبين، فلم يكن قول الفاسق مقبولاً، ثم إن الله تعالى أمر بالتبين في الخبر والنبأ، وباب الشهادة أضيف من باب الخبر. أنه تعالى قال: {أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ} والجهل فوق الخطأ، لأن المجتهد إذ أخطأ لا يسمى جاهلاً، والذي يبني الحكم على قول الفاسق إن لم يصب جهل فلا يكون البناء على قوله جائزاً.^{٢٥}

المراد فتبينوا واتقوا، وقوله تعالى: {أَن تُصِيبُوا قَوْمًا} يبين ما ذكرنا أن يقول الفاسق: تظهر الفتن بين أقوام، ولا كذلك بالألفاظ المؤذية في الوجه، والغيبة الصادرة من المؤمنين، لأن المؤمن يمنعه

^{٢٥} الرازي، مفاتيح الغيب الجزء الثامن وعشرون ٩٩.

دينه من الإفحاش والمبالغة في الإيحاء، وقوله: {بِجَهَالَةٍ} في تقدير حال، أي أن تصيبيوهم جاهلين وفيه لطيفة، وهي أن الإصابة تستعمل في السيئة والحسنة.^{٢٦} ثم حقق ذلك بقوله: {فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ} بياناً لأن الجاهل لا بد من أن يكون على فعله نادماً.

وسبب نزول هذه الآية، هو أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث الوليد بن عقبة، وهو أخو عثمان لأمه إلى بني المصطلق ولياً ومصدقاً فالتقوه، فظنهم مقاتلين، فرجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال: إنهم امتنعوا ومنعوا، فهم الرسول صلى الله عليه وسلم بالإيقاع بهم، فنزلت هذه الآية، وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بأنهم لم يفعلوا من ذلك شيئاً، وهذا جيد إن قالوا بأن الآية نزلت في ذلك الوقت، وأما إن قالوا بأنها نزلت لذلك مقتضراً عليه ومتعدياً إلى غيره فلا، بل نقول هو نزل عاماً لبيان التثبيت، وترك الاعتماد على قول الفاسق، ويدل على ضعف قول من يقول: إنها نزلت لكذا، أن الله تعالى لم يقل إني أنزلتها لكذا، والنبي صلى الله عليه وسلم لم ينقل عنه أنه بين أن الآية وردت لبيان ذلك فحسب، غاية ما في الباب أنها نزلت في ذلك الوقت، وهو مثل التاريخ لنزول الآية، ونحن نصدق ذلك، ويتأكد ما ذكرنا أن إطلاق لفظ الفاسق على الوليد سيء بعيد، لأنه توهم وظن فأخطأ، والمخطئ لا يسمى فاسقاً، وكيف والفاسق في أكثر المواضع المراد به من خرج عن ريقه الإيمان.^{٢٧}

ثانياً، تحديد عناوين الأخبار. إذا كان عنوان الأخبار مستفزا أو يحتوي على القبيلة (SARA)، فينبغي ان يحذر بالأخبار الواردة في الكذب، أو يمكن أن يدخل في فئة خطاب الكراهية

^{٢٦} الرازي، مفاتيح الغيب الجزء الثامن وعشرون ١٠٠.

^{٢٧} الرازي، مفاتيح الغيب الجزء الثامن وعشرون ١٠٠.

(*ujaran kebencian*). إن التعامل مع هذا النوع من الأخبار يجب أن يكون حريصًا على عدم

الانغماس في العاطفة، ثم استفزنا لتقديم تعليق غير متناسب.

ثالثًا، إذا كانت الأخبار الواردة في شكل محتوى وسائط متعددة تحتوي على صور أو

أصوات أو مقاطع فيديو، فيحتاج إلى خيار صحتها بقدر ما نستطيع. إذا كان الخبر يحتوي عليه

أمور الدين والإعتقاد، فيحتاج إلى أن يرجع إلى كتاب الله وسنة رسوله لمعرفة صحيقه. ويجوز أن

يسئل العلماء بقولهم وآرائهم قبل أن يأخذ الخبر، قال تعالى: {فَاسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا

تَعْلَمُونَ}.